

مصدر الثروة التي أسهمت ولا تزال تسهم في تقدم البشرية عن طريق الجوائز الضخمة التي نُصِّ عليها في وصيته المشهورة.

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك مصدر آخر لثروة ألفريد نوبل من مشاركته في أعمال أخويه النشيطين. فقد كان أخواه روبرت ولودفيج اللذان لم يغادرا روسيا مع ألفريد، ناجحين جدا في إدارة مصانع أبيهما في روسيا، كما نجحا بعد ذلك في استغلال آبار البترول في مدينة باكو عاصمة جمهورية أذربيجان (وهي إحدى جمهوريات الكومنولث التي انفصلت عن روسيا أخيرا).

إن عظمة ألفريد ترجع إلى وجود شخصيتين اندمجتا في شخص واحد، فقد اندمج العقل الثاقب للعالم والمخترع مع الفطنة والبصيرة البعيدة النظر لرجل الأعمال الدولي التي اصطبغت بمثالية حذرة.

على أن ألفريد نوبل، برغم نجاحه في ميدان الصناعة والأعمال التجارية، كان فاشلا في الناحية العاطفية؛ فلم يتزوج أبدا. كان يحب أمه إلى درجة العبادة، وكان دائما شديد الحرص على رفايتها. ومع ذلك فلم تكن هي المرأة الوحيدة في حياته. إذ كانت تربطه صداقة متينة مع البارونة النمساوية برتا فون زوتنر، وهي رائدة من رائدات حركة السلام وفازت بجائزة نوبل للسلام في عام ١٩٠٥. وقد عملت قبل زواجها فترة قصيرة كسكرتيرة خاصة لألفريد نوبل، وكان من الممكن أن تصبح زوجته لو لم يكن قلبها متعلقا بشخص آخر.

ومع شعور ألفريد نوبل بخيبة الأمل، ارتبط بعلاقة مع فتاة من فيينا تدعى صوفى هيس تصغره بثلاثة وعشرين عاما. وعلى مدى ثمانية عشر عاما، تطورت هذه العلاقة إلى تجربة الحب الوحيدة في حياته، ولكنه صُدم صدمة كبيرة عندما فشل في أن يرفعها إلى مستواه العقلي والاجتماعي.

وقد زادت هذه الصدمة من اكتئابه، ولم يسترد شيئا من إحساسه بالسلام الداخلي إلا بعد أن فصم هذه العلاقة.

إن مذكراته الخاصة ورسائله الأخيرة المحررة في ٧ ديسمبر ١٨٩٦، تدلان على أنه ظل محتفظا بموهبة الاختراع والإبداع حتى النهاية. ولكن هواجسه وإحساسه بالخوف والوحدة اللذين عبر عنهما في مناسبات كثيرة تبررتنا أخيرا. فقد مات وحيدا، كما عاش وحيدا، في منزله بمدينة سان ريمو بإيطاليا في العاشر من ديسمبر عام ١٨٩٦.